مُناقشَات

الناقد ... وطبيعة النقد

بقلم مجاهد عبد المنعم مجاهد

لم أكن أتصور حين كتبت الكلمة القصيرة الموجهة الى الاستاذ رئيف خوري [الآداب – مارس ١٩٥٥ ص ٦٤ – ٦٥] ان الاستاذ الناقد سيرتب عليها أقوالاً لا تحتملها ولا تبررها مقدماتي .. فكان أن دفعني الرد الذي كتبه في العدد الماضي من الآداب [ص ٨٣ – ٨٤] الى ان اكتب هذه الكلمة ، رغم اني كنت سأتناول موضوع النقد وطبيعته في دراسة تفصيلية فيما بعد .. ولكن لما كان ليس من الأمر بد، فسأحاول أن أعطي خطوطاً عامة سريعة لما أريد ان اقول .

وقبل أن اتقدم في كلمتي وقبل ان يتقدم الاستاذ رئيف خوري معي ، أحب – وضعاً للنقط على الحروف – أن أذكر ثلاثة اشياء بادىء ذي بدء .. الشيء الاول اني دائماً افترض أديباً من نوع معين ، وناقداً من نوع معين ، وقارئاً من نوع معين .. كل لا يعطي في مجاله كل ما يريدقوله أو بيانه ، فالأعمال الادبية التي دخلت التاريخ والتي لها قيمة فنية لاحظتانها لا تعطي كل شيء ، وأن مبدعيها تركوا اشياء ناقصة فيها حتى يتيحوا للقارىء المشاركة في الخلق الفني... وكذلك القارىء، افترض انه يشارك في الاثر الفني غير تارك للأثر ان يفرض عليه كل قوامه فيقف امامه مبهوتاً حائراً ... وكذلك الناقد ، انه لا يكشف لقارئه كل شيء يريد بيانه ، وانما هو يكشف بعض العناصر ، ويلقي الضوء على بعض الجوانب ممهداً الطريق أمام القارىء ان يقلده بدوره ويتلقى التجربة على يديه كي يتمها وحده ..

أما الشيء الثاني الذي اود ذكره والذي يعرفه الاستاذ رئيف جيداً خيراً مني فهو ما جره أرسطو على الحضارة بوجه عام من تأخر نحو الف سنة،وذلك بمحاولة تطبيق المنطق في كل العلوم وشتى المجالات ، ولعل في ثورة المنطق الحديث تنبهاً لهذا ، فكل علم يفرض منهجه ووسائله ، وليس هناك منطق يصلح ان يطبق في شتى المجالات .

والشيء الثالث الذي اود ذكره في البدء هو اني عندما اعرض لمفاهيم او مصطلحات دون أن أشرحها فذلك على أساس ان الذي اخاطبه يفهمها ويعلمها حق العلم وأنه يكون من الغرابة أن أوضح كل مدلول ما دام الطرف الثاني يعرفه ..

وعلى هذا فعندما كتبت الكلمةالقصيرة الموجهة إلى الاستاذ رئيفخوري تعمدت– طبقاً لهذا – الا اذكر كل شيء وبخاصة مفهومي في النقد ، وإنما لمحت اليه تلميحاً ، تاركاً للأستاذ رئيف – من خلال ضرب الامثلة – أن يستنتجه ، ولكن جرت علي محاولتي هذه اساءة الفهم والقصد ، فقد استنتج الاستاذ اشياء لا تحتملها المقدمات ، ولذا ارائي مضطراً ان اتحدث في شيء من الايجاز عن الناقد ومهمته ، والنقد وطبيعته ، وأخيراً اكشف عن مسئولية الناقد .

***

وقد يكون من البديهيات ان اقول ان النقد نوعان : بنائي وهدمي ولكني مضطر الى ذكر ذلك حتى استطيع ان اخرج الى ذكر ما اريد قوله .. ومن المؤسف ان النقد الهدمي هو الذي ساد وهو الذي لا يزال سائداً الى اليوم ، بينا النقد البنائي لم تهتم به الا فئة قليلة لحداثةالكشف عنه .. والنقد الهدمي هو ذلك النقد الذي تفرضه على الاعمال الفنية مقاييس ومعايير خارجية عن هذه الاعمال الفنية .. كأن يحدد الناقد القصة بألف كلمة .. او ان يشترط في المسرحية وحدة الزمن والمكانوالحدث، وكأن يبين لنا عن لفظة جلت هنا وقبحت هناك طبقاً لمقياس عاطفي متغير في نفس الناقد لا نستطيع ان نعرف حدوده .. أو ان يسجل الناقد ما يشعر به اثناء قراءته للعمل الفني كما كانت تفعل المدرسة العاطفية Impressionistic School او ان يدخل الناقد ويفرض على العمل الفني ان يعبر عن آراء العصر ويراعي العرف الاخلاقي والاجتماعي ، وان يرتبط بالحياة .. إلى غير ذلك مما ليس يحتمله .. فاذا تناول ناقد عملا فنياً وقيمه وفقاً لمقياس خارجي بعد عن العمل الفني نفسه .. فالناقدبهذا لا ينقد الاثر الموجود امامه ولكنه ينقد الاثر الذي كان يمكن ان يبدعه هو – الناقد – لو كانت لديه كل ادوات التعبير ..

أما النقد البنائي فهو ذلك الذي يطهر الذهن من كل ما يحويه من احكام سابقة ومن رواسب خارجية ، فيبطن الناقد نفسه داخل العمل الفني ولا يخرج عن منطوقه فينقد نقدا باطنياً Transcendental لامتعالياً Transcendant عليه من خارج .. وعلى هذا تصبح مهمة النقد ان يكتشف الاثر الفني ، فالناقد بهذا كما يقول كارليل Carlyle « يقوم مقامالشارح الذي يفسر المبهم لغير المبهم ، والذي يصل ما بين النبي ومن يستمع إليه من الناس » .. فالناقد بهذا – وبهذا يقول سبنجارن J. E. Spingarn – يبين ماذا كان قصد الاديب ان يقول والى اي مدى قد نجح في هذا بالمادة التي بين يديه – اي العمل الفني نفسه – لا شيئاً خارجاً عنه . وبمعنى آخر ان الناقد يعيد الينا خلق العمل الفني خلقاً جديداً ، فيخلق العمل الفني الذي ابدعه الاديب وهو في حالة اللاوعي او نصف الوعي – كما تقول نازك الملائكة – يخلقه الناقد من جديد خلقاً موعياً به .

فالناقد اذن إله صغير يسوّح قارئه بحكم قراءاته واطلاعاته وتجاربه في التذوق فينتقل به الى ملكوت العمل الفني فيطلعه على حوره وولدانه وأنهاره ، وعلى لظاه واتونه وغسلينه ، وهو في كل هذا إنما يكشف العمل الفني فقط ، فتكون مهمته قاصرة – او تكاد تكون قاصرة – أساساً على المقارنة والتحليل – كما يقول إليوت – مستغلاً في هذا ثقافاته واطلاعاته في علم النفس والاجتماع والفلسفة والتاريخ والحضارة والرياضة والطبيعة وكل مجالات النشاط الانساني . اي انه يستغل لاتخصصه في تخصصه .. يستغل عدم تخصصه في العلوم جميعاً – ومن الجائز انه متخصص في بعضها – في ابراز ما اختص به وهو تكشيف العمل الفني المعروض امامه .. وهو في تكشيفه هذا لا يصدر حكما بالاستحسان او الاستهجان لان المدح او القدح لن يقدم شيئاً بل هو يؤخر كثيراً في تقدم الذوق .. ان كل مهمته هو ابراز العناصر ممهداً بهذا الطريق للقارىء كي يبدي – اي القارىء – إعجابه او عدم اعجابه .. فالناقد يكشف لنا مثلاً عن موقف اديب في الحياة يعرضه عرضاً موضوعياً دون ان يلقى بحكم عن صوابية هذا الكشف من عدمه .. أو كأن يقارن مثلاً بين موقف أبي الهول في

الملك اوديب لسوفكليس ذلك الذي يبحث عن الانسان الذي يستطيع ان يحل مشاكله ، وبين ابي الهول في قصيدة صلاح عبد الصبور « عودة ذي الوجه الكئيب » [الآداب – يونيو ١٩٥٤ ص ٢٥] ذلك الذي يبحث عن شخوص تضفي عليه صفة الألوهية .. او كأن يقارن الناقد مثلاً بين قول كمال عبد الحليم على لسان ابن له لم يولد بعد .. يقول :

ولكنني بعد لم اولد
فهالي من حاضر أو عد
ويأبى الطغاة دعاة الحروب
اعادة امي الى والدي
انا كائن بعد لم اولد
انا والسلام على موعد

وبين قول ماكنيس Louis MacNeice في قصيدته « صلاة قبل الميلاد» حيث يقول ايضاً على لسان إنسان لم يولد بعد وهو يخشى المجيء الى العالم :

I am not yet born, O fill me
With strength against those who would freeze my
humanity, would dragoom me into a lethal
Dutomaton, would make me a cog in a machine.
A thing with one face, a thing, and against all
Those who would dissipate my entirety,
Would blow me like thistledown hither
And thither or hither and thither
Like water held in the
Hands would spill me.
Let them not make me a stone and let them not spill me
Otherwise kill me.

فيكشف لنا الناقد عن موقف كل من الشاعرين من الحياة دون ان يصدر حكماً على هذا الموقف تاركاً للقارىء حرية الاختيار ، فالقارىء أعدى اعدائه أن تقيد حريته ولعل هذا هو سبب فشل الشعر الخطابي حيث اننا نحس بالاديب كأنما انفاسنا آخذاً بخناقنا ، غير تارك لنا لحظة واحدة نتنفس فيها ...

وكذلك الناقد يقوم بمهمة التحليل وابراز العناصر ، فان كان في العمل الفني بنائية بالصور ذكر هذا او ان هناك بنائية بالكلمات سجله ، أو ان الشاعر يعتمد على البيتية المغلقة أو انه يعتمد على التفعيلة المتغيرة دون هذا دون ان يرجح واحداً على الآخر ، لكي يترك للقارىء حرية الاختيار والتفضيل .. وهو مجال كأن يبين لنا انعكاس المصرية في تعابير شعراء الشباب المصريين كقول الشرقاوي « من أب مصري الى الرئيس ترومان»:

كنوارة في إخضرار الحقول « ينغنغ »في شفتيها الامل

أو قوله عن الانجليز :

وكنت أراهم وهم يركلون فتى في طريقهم أو فتاة
وقد ينزعون حجاب امرأة
فتصرخ : « ويلي من الانجليز » ..

أو قول صلاح عبد الصبور في « اغنية حب »:

شعر حبيبي حقل حنطة
خدا حبيبي فلقتا رمان

أو كأن يبين ان الاديب المحدث أصبحت الثقافة جزءاً لازماً له وأن هذا ينعكس في شعره .. كأن يبين لنا انعكاس قول هيرقليطس :

«انت لا تنزل النهر الواحد مرتين فماؤه دائماً في تجدد».. يبين انعكاس هذا القول مثلاً في شعر ناظم حكمت :

الريح تنسكب وتمضي
والريح الواحدة لا تتحرك ابدا مرتين
غصن الكرز الواحد .

فالناقد بعمله هذا إنما يطلع القارىء على العوامل المختلفة التي تدخل في الاثر الفني فيستطيع القارىء ان يحكم على اساسها لنفسه – لا لجمهور الناس – وهو بهذا يربي الذوق ويثقف القارىء فنياً ..

ومن هنا تتضح مسئولية الناقد ، فلما كانت مهمته هي تربية الذوق والتثقيف فنياً ، فمسئوليته تنحصر في هذين العاملين فقط .

اذن يدرك الاستاذ رئيف خوري أن الناقد بهذا إنما هو ناقد محايد، وبمعنى ادق هو ناقد عالم ، ونقده نقد علمي بعيد عن الغرضية والتحيز ..

***

ولعل الاستاذ رئيف يعترض على كلامي هذا بقوله . « ان القاعدة الذهبية التي زعمت انك قلت بها انما هي متغيرة ليس لها من ثبات » ولعل نفس الاعتراض الذي قد يوجهه الى الاستاذ اعترضت به على نفسي باديء ذي بدء، فمثلاً قد قرأت قصيدة « لا اقولها » للشاعر البياتي [ديوان : اباريق مهشمة] فتكشف لي انه يتحدث عن الحب وانه لا يريد ان يهمس بهذه الكلمة لحبيبته .. ثم لما قرأتها في المرة الثانية توضح لي انه يعني بها الحرية وانه يخشى ان يصرح بها .. وقد تفكرت فيها زمنا ، فتكشف لي ان الاختلاف لا يرجع الى القاعدة التي اقول بها ولكن يرجع الى درجة الثقافة والى تشغيل العقل الصريح Le Bon Sens ومقدار تبطن النفس في العمل الفني وتمركزها فيه ويرجع ايضاً الى الحدس والى مقدار الانغمار ودرجة الصبر في تضويء العمل الفني ..

***

تلك هي الاسس العامة في النقد التي أراها والتي ضمنتها دون ما تصريح في الكلمة القصيرة التي كتبتها والتي اساء الاستاذ رئيف الاستنتاج على اساسها ولعله بعد هذا يحق لي ان اناقشه على ضوئها على ما ذكره نقطة نقطة في ايجاز سريع ..

١ – ذكر الاستاذ رئيف خوري أن الجاحظ في موقفين مختلفين من كتبه استهجن بيتين مرة واستجادهما في المرة الاخرى .. والحقيقة أن هذا الذي تعرض له الجاحظ قد عرض لي وخاصة في شعر محمود حسن اسماعيل، على ان الامر كما قلنا في امر النقد هو ليس امر اعجاب او نقيضه إنما هو امر تكشيف لعناصر هذين البيتين دون ادخال لعواطفنا في البحث ..

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الجاحظ عندما اورد البيتين في كتاب الحيوان فانما استهجنهما لانه كان يسير وغرضه« القضية التي لااحتشم منها ولا أهاب الخصومة فيها ان عامة العرب والاعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من [عامة] شعراء الامصار والقرى من المولدة والنائية » [الجاحظ : الحيوان جـ ٣ ص ١٣٠] فليس غرضه البحث العلمي وانما دخلته اغراض وهو يريد ان ينتصف للعرب دون ما دخل للحقيقة .. اما في البيان والتبيين فقد اطاق نفسه على سجيتها وقال القول الذي اعتقد هو في قراءته بصحته ..

هذا من جهة ، ومن جهة ثالثة فالجاحظ ليست لديه روح البحث ، وانما عنده تفككية ولامنهجية مما يجعله مضطرباً في كتاباته ..

٢ – ذكر الاستاذ أنه عند التصفية لم أقرر شيئاً حين زعمت أن النقد موضوعي وفردي وشخصي ولكن من مقدماتي السابقة اقول له اني لم اكتفها على اساس افتراض ان الاستاذ رئيف يعرفها ولا داعي لاعادة القول بالشرح .. واذا كان يريد تفسيراً فاني اقول له بأن ما عنيته بالموضوعية هو إضاءة العمل الفني من الداخل وإننا بالانغمار فيه سيتكشف لدينا فرض نعامل به العمل الفني .. وبمعنى آخر هو تطبيق المنهج العلمي في النقد .. وهذا ما حاوله الاستاذ نجيب سرور في دراسته للنرجسية – وبصرف النظر عن النتائج التي توصل اليها – في رواية الدكتور سهيل إدريس « الحي اللاتيني » حيث قد كشفته الرواية على وجود هذه النرجسية فتناول هذه الظاهرة بالبحث العلمي ، وايضاً كما يفعل الاستاذ محمود امين العالم في نقوده ..

اما النقد الفردي فمن الجائز ايضاً ان يكون موضوعياً في نفس الوقت الا ان الناقد – بحكم انه قارىء ايضاً – له موقف عريض واسع يدخله في معالجته للعمل الفني – أو غير الفني – ولعل النقد الموضوعي ليس موجوداً بالمعنى الدقيق له وانما هو دائماً يختلط به النقد الفردي ، فالاستاذ محمود العالم مثلاً ينقد نقداً موضوعياً من جهة الا انه من خلال مفهوم خاص به وموقف معين يلمح به في نقده للأعمال الفنية يتبدى نقده الفردي ..

اما النقد الشخصي فلا تكون فيه هذه القاعدة العريضة وإنما تسيره الظروف والاهواء والرغبات فهو « يعجب بشاعر ويذم آخر ويطعن قاصاً ويمدح ناقداً .. »

٣ – يزعم الاستاذ أن ليس هناك قاعدة ثابتة للنقد الادبي، وقد ذكرنا له هذه القاعدة السلبية تطهيراً، البنائية نتيجة وأنها تعتمد على المقارنة والتحليل.

٤ – يسألني الاستاذ رئيف كيف استجاد بيتين بينا الاستاذ العالم لم يحس تجاههما بتجربة شخصية ، ومرة اخرى يقول إن الامر ليس امر استجادة.

ونضيف ان الاستاذ العالم عندما قال هذا فقد قاله على أساس ان بيتي حافظ حقاً يثيران دفعاً شعورياً الا انه دفع شعوري وقتي لا يخلف أثراً ولا يستطاع استعادته إلا بقراءة البيتين من جديد ..

٥ – يسألني الاستاذ رئيف كيف حدث اختلاف بين الاستاذ العامري وبيني في قصيدة نزار قباني « إلى اجيرة » .. والاختلاف الحادث راجع إلى اختلافنا في النهج وفي المقدمات .. فهو يريد ان يفرض على القصيدة مبدأ الالتزام من خارج فلا يجدها تلتزم – وهو مؤمن بالالتزام – بينما محاولتي بالتبطن الباطن كشفت عن هذا الالتزام في القصيدة .. فالاختلاف راجع الى ان الاستاذ العامري لم يخرج من ذهنه الاوثان Idols التي في نفسه ، فهو بعد قراءته لـ (سامبا) و (المستحمة) و (à la garçonne) و (حكاية) وغيرها للشاعر نزار تتكون له فكرة معينة عن موقف الشاعر من الحياة ، وبهذه الفكرة السابقة ينقد قصيدة « إلى اجيرة » ، بينما كانت محاولتي هي تناول « الى اجيرة » على انها عمل منفصل عن سابق اعمال نزار ، وانه عمل فني جزئي قائم بذاته .. ومما يدل على صوابية الرأي الذي قلته عن القصيدة هو تأييد الشاعر نفسه ، فقد أيد قول السيدة ندى كيالي [نزار قباني : الى السيدة ندى كيالي – الآداب مايو ٥٥ ص ١٠١ – ١٠٢] أيد قولها في تكشيفها لقصيده وما قالته السيدة ندى كيالي هو نفسه ما قلته انا في العدد الذي سبق كلمتها وكل ما في الامر انها حاولت ان تفتح مما برعمته انا وكانت من كرم النفس بحيث ذكرت صوابية رأيي واتفاقها معي ..

٦ – عندما ابرزت الديالكتيك الحادث في قصيدة نزار فعلى أساس أنه حدث فني جزئي يكشف عن صراع بين طبقتين .. فليست امامي اذن مجموعة ضخمة من التراث الادبي كما ظن الاستاذ أحاول ان استخلص منها الخصائص التي كانت سبباً في استهواء الجماهير .. واذا كان الديالكتيك لا يسمح لي بهذا فلم لا أطور مفهومه ؟ إن هناك اناساً افكارهم جاهزة بل إنها لجاهزة أثناء تجهيزها وإن مهمتنا هو سكب ذواتنا فيها وتنميتها ..

٧ – يقول الأستاذ بأنه بنقد العمل الفني لن يجعل هذا النقد الناقد أديباً ولا القارىء أديباً !! ومن زعم ان الأمر بخلاف ذلك ؟ ! إن النقد لن يفيد حتى العمل الأدبي نفسه ، ولن تجد اديباً واحداً يرضى بأن يغير في الأثر الفني وفقاً لما ارتآه الناقد .. ولكن النقد سيفيد صاحب الاثر من جهة في تطوير فنه ، وسيفيد القراء من جهة اخرى في تنمية ذوقهم ..

٨ – لما كنت اعتبر مهمة النقد فقط هي الكشف ، فليس الامر يستدعي الضحك عندما أكشف شيئاً في العمل الفني ! أترى الأستاذ قد ضحك عندما قرأ ان كولمبوس اكتشف امريكا او عندما سمع ان فلمنج اكتشف البنسلين من بكتريا الخبز – مع الفارق بين كشوفها الضخمة وكشفنا الضئيل .

٩ – النقطة الرئيسية التي يحاول ذكرها الاستاذ رئيف مركزاً إياها زاعماً اني اقول بها هي محاولتي تطبيق الديالكتيك في كل عمل فني ، فاذا لم اجد العمل الفني يحتوي على الصراع بين الطبقات لم يعد شيئاً .ولعل في مقدماتي السابقة خير ما ينفي هذا عني .. وكل ما في الامر اني عندما سقت الى الاستاذ الامثلة على عدم موضوعية نقده كان – لسوء حظي – ان اخترت – عشوائياً – قصيدة نزار فلما بطنت نفسي فيها تكشف لي انها تحوي هذا الصراع بين الطبقات .. إنني لا افرضه على العمل الفني مقياساً خارجيا من عندي ، ولا ألزم الاديب برأي لم يلتزم هو به من نفسه ، فليعنكب الاديب موقفه في أثره او فليمددها حتى تطوى الكون كله .

كل مهمة الناقد ان يذكر عنكبة الاول ويوضح امتدادية الاخر ..

وازيد القول فأقول بانه ليست هناك جبرية في الافعال الأنسانية لانه حتى في الطبيعة لا توجد جبرية ، فبعد كشف العلم لنظرية الكوانتا Quanta وظهور الميكانيكا التموجية Mécanique Ondulatoire على ايدي ماكس بلانك Max Blanch ولوي دي برولي Louis de Broglie وغيرهما ، اثبت هذا حرية الذرات ، وان الجبرية إنهي الا احتمالات .. فاذا كانت ليست هناك جبرية في الطبيعة فمن باب اولى الا توجد جبرية في الافعال الانسانية ؟ .

١٠ – يذكر الاستاذ موقف ابي زيد السروجي في مقامات الحريري على انه يتحمل تفسيراً لصراع الطبقات ، وشتان بين موقف ابي زيد هنا وموقف نزار في « الى اجيرة » ان الامر ليس إظهار صراع طبقات هكذا ، وانما هناك الدفع والتطوير الى الامام في قصيدة نزار .. واذا كان الاستاذ يحاول ان يعطيني مثلا على وجود صراع الطبقات في الادب القديم فاني مستطيع بدوري ان اعطيه عشرات الامثلة في كل الاداب القديمة بفهمه هذا الخاص للصراع ..

١١ – يذكر الاستاذ انه يعجب بالشاعرة نازك الملائكة اعجاباً (مزاجياً) فاذا كان الامر امر مزاج فانها تعجبني اعجاباً لعله يفوق إعجابه ..

وهو يقول بأن كشفي للاسقاط ونداءات يأسها ونفسها المستوحشة في « صلاتها للقمر » ، انما هو دوران في الفراغ لان الكشف [او التفسير]

ومحاولة اثبات الجودة لما قد فعلته شيئان مختلفان .. ولعل الاستاذ من كل ما بين يدي اني اقصر النقد فقط على الكشف [او التفسير] دون محاولة اثبات الجودة ..

***

لم تبق الا كلمات ثلاث :

... تمشيا مع مقدمتي لم اخرج عليها فاني لم اذكر كل شيء حاولت ان اقوله تاركا للقاريء استنتاج ما اغفلته عمداً ..

.. أعيد القول بان هذه كلمة عاجلة عن رأيي في النقد راجياً ان تكون إرهاصاً بتكشيفها وتضويئها اكثر في القريب ..

... اما الأستاذ رئيف فقد كنت ارجو منه التركيز على موضوعات قليلة في نقد عدد ضخم من الاداب كثرت مواده حتى نستفيد من ثقافاته وتعمقه .

القاهرة **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

حول باب «المناقشات» وغيره *

بقلم نبيه غطاس

بصراحة انا لا أحب كثيراً هذه المناقشات والمجادلات التي تحتل قسماً من صفحات «الآداب» الاخيرة، كنت افضل لو انها خصصت للترجمات مثلاً، او لمقالات علمية قصيرة تخرج القاريء من الجد الادبي الرتيب. هذه المناقشات والمجادلات تعني ان كانت تعني احداً ، الراد والمردود عليه ، او المناقش والمناقش فقط ، شأنها شأن رواية غرامية الفها احد الكتاب وبعث بالمخطوط الى رجل عالم ليبدي رأيه فيها، فكتب هذا ملاحظته الساخرة: يجب ان يطبع من هذه الرواية نسختان فقط ، واحدة للعاشق واخرى للمعشوق ...

واكثر من ذلك ، صارت هذه الصفحات الاخيرة ميداناً لعرض العنتريات الادبية وللتدليل على بضاعة الكلام : هذا يبدي رأياً شخصياً في قصيدة او قصة او مقالة فينبري المؤلف يرد على الناقد ، يدفعه الحرص على سمعته الادبية اكثر من انتصاره لفكرته او رأيه . ثم يرد الناقد على رد المؤلف فاذا بنا نقرأ بعد فترة من التشاحن رداً على رد ، تماماً كالعرق المثلث ...

لست اعلم ماهي افضل طريقة لأن تنتقد اثراً ادبياً دون ان تثير نقمة المؤلف. قد تكون صدورنا ضاقت لدرجة انها لم تعد تطيق النقد والانتقاد أو لا، هي الطبيعة البشرية التي تصور الكمال مطلقاً في نفس المرء وحتى اذا جاء من يقول له : هذه نقيصة فيك وهنا ضعف ابديته ، نفخ بالبوق وثار وجند رياح الكون لتعصف بذلك الذي تجرأ وانتقده .

ومع شدة ايماني بالنقد والانتقاد أراني ملزماً على ان اسأل : هل يفيد النقد في مجلة « الآداب » وفي غيرها من مجلات الادب ؟ — لا اعلم كيف تسربت هذه الفكرة الى معظم الكتاب والقراء وهي ان النقاد عندنا يؤخذون بالمظهر والقشور ، سطحيون متهكمون لا علميون، يحكمون اذواقهم الشخصية ولا يعتبرون النقد علماً باصول. متى كانت عند المؤلف هذه الفكرة — وربما كانت صحيحة الى حد بعيد — فهو لا يستأنس برأي هؤلاء النقاد وهو لا يقبل ان يوزن ادبه بموازينهم ولا ان يغربل بغرابيلهم .

وكم سمعنا كاتباً يستشهد بقول الشاعر :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

هنا تنفتح امامنا قضية اخرى : الناقد متهم بانه ناقص والحكم صار خصماً ؛ ايعقل ان يقتنع الكاتب ، وهذه نظرته الى الناقد ، ايعقل ان يقتنع بصواب رأي الناقد وخطل رأيه هو ؟ وقديما قيل — ما زال القول صحيحا : اثنان لا يغيران رأيهما اعقل الناس واجهلهم !

من اجل هذا ، اكاد اقترح على رئيس تحرير « الاداب » بان يلغي باب المناقشات والردود . فيوصد باب الجدل والتشاحن والشماتة ايضاً ... عندما يوضع الناقد نفسه في قفص الاتهام !

اجل ، وكثيراً ما يقع « قاريء العدد الماضي » — اي الناقد — في حيص بيص . ولعل الاستاذ عبد الله عبد الدائم ، « قاريء العدد الماضي » في حزيران احذق هؤلاء النقاد واشدهم حذلقة : انه لم ينقد ولم ينتقد ، كل ما في الامر انه راجع او لخص او استعرض ، اما يبغي ان يسلم رأسه وكفى !

الصفحات الخمس من عدد الاداب الماضي (حزيران) التي سودها الاستاذ عبد الدائم وخرج منها ببياض الوجه ، هذه الصفحات ما هي الا ملخص للعدد الاسبق من « الآداب » . « ليت الآداب » طبعت لكل عدد ملخصاً او ملحقاً وبعثت به للمشتركين المنهمكين في اعمالهم والذين لا يسمح لهم الوقت بقراءة كل العدد ، اذن لاكتفوا بقراءة هذا الملخص او الملحق ، وكفاهم شر القتال والاقتتال .

او لعل الاستاذ عبد الدائم مقتنع معي بخطل النقد في هذا الباب فراح يستعرض محتويات العدد ويراجعها ويلخصها ويقتطف منها كلمات وجملا ، لا لشيء الا لانه يريد ان يتجنب النقد وان يسلم رأسه — فيا بعد — . تلك حنكة وحذلقة .

اذكر اني خرجت من قراءة احد اعداد « الآداب » معجباً بأكثر محتوياته ، وفي الشهر التالي قرأت نقد « قاريء العدد الماضي » ، فاذا هو ناقم على القطع التي اعجبت بها . ليس هذا غريباً . ولكن الغريب في الامر اني بعد يومين التقيت بصديق لي كان قد قرأ العدد نفسه واعلن لي انه يخالف آراء الناقد . قلت في نفسي : عال ، لست وحدي حامل السلم عرضاً . « عافاك الله يا صديقي ، وانا ايضاً اخالفه ، ففي هذه الناحية اخطأ وفي هذه الناحية اشتط وفي . . »

ولشدة عجبي ان صديقي خالفني انا ايضاً في الرأي واستن لنفسه رأيا ثالثاً ، واظن ان هنالك رابعاً وخامساً ..

ماذا تقولون عن هذا ؟ اينا المصيب واينا المخطيء ؟ نختلف نحن الثلاثة او الاربعة في تقييم اثر ادبي ، وكل يراه من زاوية خاصة ويبدي وجهة نظر خاصة ، هل هناك مقياس صحيح نقيس به اذا اختلفت الاراء؟ هل ان « قاريء العدد الماضي » دائماً على حق لانه اتفق ووضعت « الآداب » على طاولة تشريحه ؟ وهل رأيتم اديباً منقوداً عاد عن رأيه بعد ان نقد ودل على اخطائه ؟ وهل ان ناقداً خرج قليلا من زاويته وحاول ان يرى من زاوية اخرى ويفهم ما يعني الكاتب المنقود بالضبط ، وهل ان القاريء (الاخر) معني — بكثير او قليل — بجدل بيزنطي حول فكرة او رأي او كلمة او مقطع او تعبير ورد في قصيدة او في مقالة فقامت القيامة ولما تهدأ بعد ؟ وهل بالامكان ان تستبدل هذه المراشقات بعمل اكثر بناء واكثر فعالية ؟

هذه خواطر واسئلة خطرت لي بعد ان قرأت العدد السابق من مجلة « الآداب » . ولها مني التحية* .

نبيه غطاس

---

* تطرح « الآداب » رأي الكاتب على القراء ، وهي واثقة من انه سيثير « مناقشات » سوف تنشر في هذا الباب بالذات ! (قلم التحرير)

حول « الذرى البيضاء »

بقلم ايلي حاوي

قال الاستاذ عبدالله عبدالدائم في تعليقه على قصيدة أخي خليل حاوي «الذرى البيضاء» إنه لم يفهم كل ما فيها . فالى الاستاذ الكريم هذا التوضيح : -

في مجال الدعوة الى الادب الجديد بتنا نصدف عن قيمة الشعر الداخلية الى شيع ومقاييس تعمى الا عن الموضوع. يلتزم الشاعر رأياً لا يؤمن به، او لما يبلغ ايمانه به حداً يبث فيه النشوة الفنية ، فيزيف على سجية الخلق ، ويكد الخواطر كداً، فيا يزفها بعضاً الى بعض عبر النغم والارادة الواعيين. وانا كثيراً ما نحتفل بقصائد ما كان ليحتفل بها لولا اذخارها بدعوات توافق هوانا ، وتستثير رغائبنا السلبية الكامنة .

وبعد ينبغي لنا ان نلج الشعر ولوجاً مباشراً ، فندرك مدى انتصار الحرف على روح التجربة المتعصية الهاربة، ولا بدع ان تظل هذه التجربة مطلقة فلا تنضوي الى رأي او عقيدة ما دامت يختلج بها وجدان الشاعر ، فضلاً عن روح الحرف الباني والوحدة المجسدة . وقديماً كان يعتقد انها مشايعة بين فكرة وعاطفة وخيال ، الا ان هذا القول ذاته بات قليلاً لان جذوتها المتساوقة عبر اليقين القلبي تختصر الشخصية كافة عندما تضيء هنيهة الحدس ظلامها ، فهي اذاً جذوة في العصب تتمدى واقع المعرفة الى واقع ذاتي مبرم هو امتداد للاوضوح الذي يغمر النفس غب ذهولها .

اما الثقافة فتخصب الانفعال الخلاق وتجعله ان يتالف الى حقائق كونية لا تحفر لبداهة الفطرة فتغني التداعي وتوجه صور التعبير . فاذا جرت على الجذوة من الخارج فقد تعصب طبيعتها او تخمدها وقد طالما رأيناها تطغى فتحول نظرياتها بين الشاعر وحقيقته .

ولقد اعدت مراراً قراءة قصيدة « الذرى البيضاء» للشاعر خليل حاوي فرأيتها مثالا حياً بهذا الاخلاص الفني، خلاف ما صار به ادب الالتزام المعاصر وما انضوى اليه ليخدع الناس عن قلته ويكسو ذاته قيمة تضاف اليه من الخارج

ان الوحدة في هذه القصيدة تتجه الى نهايتها فلا تضيرها خطوط نفسية دخيلة ولا ثقافة متعصية. فبعد ان يعلن البيتان الاولان جوهر الازمة تنبري الابيات اللاحقة تصف اضطرابها في نفس الشاعر ، فتراة ساهماً على الليل يلهج بما زور عليه، يغمره ظلام الحروف ، وتلفح عينيه بنار شهبها واذ تشتد النزوة يتمثل له الغدر خنجراً يطعن صميمه وما يكاد ان يتباطىء النغم ويزهق حتى تذكيه التفاتته الى ادونيس والمسيح اللذين انتصرا على الذين نكلوا بهما، فيركن قلق الشاعر الى هذا الانتصار هنيهة لا تلبث ان تتقلص اضواؤها فيا يعود الشك يستبد به ، ويظل لا يدري اذا كانت شمس الحق ستعلن ظلامته التي لم يرها سوى سراج عين ضئيل .

هذا الايجاز وان كان نزع عن القصيدة جمالها فقد ابدى وحدة الخط النفسي ووحدة الصور .

ولقد برع الشاعر في هذا الدأب فاستطاع من مدى حروف كلمة « خائن » ان يستثير معضلة انسانية ربطت العصر الى العصر والفكرة الى الفكرة ونحت نحواً ذاتياً في افكار كادت ان يبلي جوهرها التقليد الموات وقد لا يبدو عصياً ان يدرك واحدنا ما ادرك الشاعر عن المسيح وادونيس اما ما يعجبنا في ذلك تأليف هذه المدارك عبر التجربة حيث تتجسد وتتخذ شكلا في الزمن فينقل العمل الذهني من مأساة الشاعر الخاصة الى مأساة انسانية مماثلة الاولى هالة القدم والمدى وتتخذ الثانية حرارة الواقع اليومي الحي . ولولا المؤالفة الحميمة التي تربط نفسه الى هذه القضايا لما كان خطر له ادونيس او المسيح ، ولربما ان الحالة ذاتها ما كانت اختلجت في نفسه او لما كان اخذ اختلاجها هذا الشكل الانساني الرائع .

بقي ان نقول كلمة عن القافية . عندي ان التناغم بين حروف البيت الواحد وقوافي القصيدة جميعها ضرورة تحتمها طبيعة العمل الشعري . ولقد اتت القافية في هذه القصيدة اكيدة متزنة رغم قصر الشطر وسرعته فهي أفعال واسماء لا يؤدى المعنى الا بها، اما اذا اتت صفة فان هذه الصفات توازي الحدث الفعلي او الحالي الذي يظهر المعنى ويؤكده .

وبعد فان ما تغلب عليه الفنان من صعوبة داخلية في الموضوع وما جرت عليه الصور من غنى وثقافة ، فضلا عن اليقين الفني الرفيع ، هذه جميعاً تجعل القصيدة ذروة اتجاه فني جديد .

بيروت – الجامعة اللبنانية — **ايلي حاوي**

مجموعة اولادنا

مجموعة طريفة من القصص العالمية تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والاقدام، تطالعها الناشئة الحديثة بشغف ولذة فتؤخذ بما فيها من سمو النفس والمثل العليا .

		غ.ل.
١	عمرون شاه	١٢٠
٢	مملكة السحر	١٢٠
٣	كريم الدين البغدادي	١٢٠
٤	آلة الزمان	١٢٠
٥	الامير والفقير	١٢٠
٦	كتاب الأدغال	١٢٠
٧	بينوكيو	١٥٠
٨	نبوءة المنجم	١٢٠
٩	روبن هود	١٢٠
١٠	دون كيشوت	١٢٠
١١	أيفنهو	١٢٠
١٢	جزيرة الكنز	١٢٠
١٣	كنوز الملك سليمان	١٢٠
١٤	سجين زندا	١٢٠
١٥	الزنبقة السوداء	١٢٠

تطلب من المكتبات الشهيرة

ومن متعهد التوزيع

دار المعارف بيروت لصاحبها أ. بدران

بناية العسيلي – السور ص . ب ٢٦٧٦